الدولة الريانية بين النموذج المحلي والنموذج الإمبراطوري: قراءة مقارنة مع السلاجقة والصفويين

The Rayyanid State: Between the Local and Imperial Models: A Comparative Reading with the Seljuks and Safavids

محمد خيا، طالب باحث / تخصص دراسات لغوية ونقدية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مراكش، –المغرب

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٨/١٨ تاريخ القبول: ٢٠٢٥ /٩/٢ تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٩/١٥

هذا العمل مرخصة بموجب <Creative Commons Attribution–NonCommercial–ShareAlike 4.0 International. <br
الحقوق الفكرية (c) 2025 مجلة المجد العلمية المتطورة>

الدولة الريانية بين النموذج المحلي والنموذج الإمبراطوري: قراءة مقارنة مع السلاجقة والصفويين

الملخص:

يتناول هذا البحث الدولة الريانية بوصفها نموذجًا محليًا مغايرًا لتشكّل السلطة في التاريخ الإسلامي، قائمًا على الشرعية الاجتماعية والأخلاقية المتجذّرة في التصوف، بعيدًا عن النمط الإمبراطوري القائم على القوة العسكرية أو الأدلجة العقائدية. ويسعى البحث إلى إعادة إدراج الدولة الريانية ضمن دراسات الدولة الإسلامية من خلال تحليل بنيتها الداخلية ومقارنتها بنموذجين سلطانيين بارزين هما دولة سلاجقة الروم والدولة الصفوية.

يعتمد البحث منهجًا تاريخيًا تحليليًا مقارنًا، ويُظهر أن الدولة الريانية نشأت من داخل المجتمع عبر شبكة صوفية سبقت قيام السلطة السياسية، مما أسهم في إنتاج نموذج اندماجي قلّص مستويات العنف وحقق قدرًا من الاستقرار الاجتماعي. وتكشف المقارنة أن تبنّي الرموز الإمبراطورية أو تحويل التصوف إلى أيديولوجيا سلطوية، كما في النموذجين السلجوقي والصفوي، أدى إلى مركزية الدولة وتعزيز قدرتها على الاستمرار، لكنه جاء على حساب التعددية والانسجام الاجتماعي.

ويخلص البحث إلى أن الدولة الريانية تمثل نموذجًا تحليليًا مستقلًا لتشكّل الدولة، يوسّع مفهوم الشرعية السياسية في التاريخ الإسلامي، ويبرز دور الأخلاق والقبول الاجتماعي في بناء السلطة، بما يفتح آفاقًا جديدة لدراسة الدول المحلية والسلطات غير الإمبراطورية

الكلمات المفتاحية:

الدولة الريانية بين النموذج المحلي والنموذج الإمبراطوري: قراءة مقارنة مع السلاجقة والصفويين

Abstract:

This research examines the Rayyanid state as a distinct local model of power formation in Islamic history, based on social and moral legitimacy rooted in Sufism, distinct from the imperial model based on military force or ideological indoctrination. The research aims to reintegrate the Rayyanid state into the study of Islamic states by analyzing its internal structure and comparing it to two prominent sultanic models: the Seljuk Sultanate of Rum and the Safavid dynasty.

The research employs a comparative historical-analytical approach, demonstrating that the Rayyanid state emerged from within society through a Sufi network that predated the establishment of political authority. This contributed to the development of an integrative model that reduced levels of violence and achieved a degree of social stability. The comparison reveals that the adoption of imperial symbols or the transformation of Sufism into an authoritarian ideology, as seen in the Seljuk and Safavid models, led to state centralization and enhanced its ability to endure, but at the expense of pluralism and social harmony. The research concludes that the Rayyanid state represents an independent analytical model for state formation, expanding the concept of political legitimacy in Islamic history and highlighting the role of ethics and social acceptance in the construction of power, thus opening new horizons for the study of local states and non-imperial authorities.

Keywords: The Rayyanid State between the Local and Imperial Models: A Comparative Reading with the Seljuks and Safavids

الفصل التمهيدي

الإطار المفاهيمي والمنهجي لدراسة الدولة الريانية

أولًا: إشكالية المفهوم وحدود المصطلح

يثير مصطلح «الدولة الريانية» إشكاليات متعددة على المستويين المفاهيمي والتاريخي، وذلك لارتباطه بتجربة محلية محدودة الانتشار، لم تحظَ بحضور واسع في المدونات التاريخية الكلاسيكية، مقارنة بالدول الإسلامية الكبرى. وقد أدى هذا الغياب النسبي إلى تباين في توصيفها بين من يعدّها كيانًا سياسيًا مكتمل الأركان، ومن ينظر إليها بوصفها سلطة محلية ذات طابع صوفي–اجتماعي.

وانطلاقًا من هذا الجدل، يتبنّى هذا البحث تعريفًا وظيفيًا للدولة الريانية، بوصفها تنظيمًا سياسيًا محليًا امتلك:

- قيادة معترفًا بها اجتماعيًا
- قدرة على ضبط المجال العام
- شرعية مستقرة داخل نطاق جغرافي محدد

دون اشتراط السمات الإمبراطورية التقليدية.

ثانيًا: الدولة المحلية في مقابل الدولة الإمبراطورية

يعتمد البحث مقاربة تميّز بين «الدولة الإمبراطورية» و«الدولة المحلية». فبينما تقوم الأولى على التوسع، والبيروقراطية، والهيمنة العسكرية، تقوم الثانية على:

- التماسك الاجتماعي
- الشرعية الأخلاقية
- القبول المحلي

وتُدرج الدولة الريانية ضمن النمط الثاني، ما يتيح دراستها خارج معايير "القوة والحجم" التي كثيرًا ما أفضت إلى تهميشها في الدراسات التاريخية.

ثالثًا: التصوف بوصفه فاعلًا اجتماعيًا وسياسيًا

ينطلق البحث من فهم التصوف لا بوصفه ممارسة روحية فردية فحسب، بل باعتباره:

- شبكة اجتماعية
- منظومة قيم
- أداة تنظيم غير رسمية

وقد أثبتت تجارب تاريخية متعددة أن الطرق الصوفية لعبت دورًا محوريًا في ملء الفراغات السلطوية، وهو ما يجعل دراسة الدولة الريانية ممكنة ومشروعة ضمن هذا الإطار.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

رابعًا: إشكالية المصادر والمنهج النقدي

تعاني دراسة الدولة الريانية من ندرة المصادر المباشرة، ووجود منشورات محل جدل حول مصداقيتها. ولذلك يعتمد هذا البحث منهجًا نقديًا مزدوجًا يقوم على:

- تحليل المصادر المتاحة دون تسليم مطلق بمضامينها
- الاستعانة بالمقارنة التاريخية والنماذج المشابهة

ولا يتعامل البحث مع الندرة المصدرية بوصفها ضعفًا، بل باعتبارها معطى تاريخيًا يعكس طبيعة الدولة المحلية ذات الطابع الشفهي–الاجتماعي.

خامسًا: المنهج المقارن القائم على الحالة المركزية

يختلف هذا البحث عن الدراسات المقارنة التقليدية في كونه يجعل الدولة الريانية هي الحالة المركزية، بينما تُستخدم تجربتا سلاجقة الروم والدولة الصفوية كأدوات تفسيرية لإبراز الخصوصية الريانية، لا كنماذج معيارية للحكم.

سادسًا: القيمة العلمية للفصل التمهيدي

يُعد هذا الفصل التمهيدي مدخلًا ضروريًا لفهم البحث، إذ يضع القارئ أمام:

- الإطار النظري المعتمد
- الحدود المنهجية
- طبيعة الإسهام العلمي

ويمهّد لتحليل الدولة الريانية بوصفها تجربة سياسية واجتماعية مكتملة ضمن سياقها التاريخي.

سابعاً: المخطوطات والكتب التي تم بنأ البحث عليها بكوني باحث وقارئ:

أبو بكر، محمد. (١٩٩٦). المثلث العفرى في القرن الأفريقي عبر العصور التاريخية. القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات. هو من أجمل الكتب التي قمت بالبحث والتنقيب عن معلوماتها وكانت مترابطة ترابط جذري بتاريخ حضارة قد تم ظلمها ولم تظهر للعلن ونحن كباحثون ومنظمون نقوم بتوثيق معلومات هذه الحضارة من كتب ومصادر عربية وأجنبية متنوعة.

الفصل الأول

سلاجقة الروم والرمزية الفارسية في بناء الشرعية السياسية

المبحث الأول:

السياق التاريخي والسياسي لقيام دولة سلاجقة الروم

نشأت دولة سلاجقة الروم في الأناضول خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي في سياق تاريخي معقد اتسم بتداخل عوامل سياسية ودينية وثقافية. فقد جاء السلاجقة إلى الأناضول بعد انتصارهم الحاسم على البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، وهو الانتصار الذي فتح أمام القبائل التركية أبواب الاستقرار في آسيا الصغرى، وحوّل المنطقة تدريجيًا من فضاء بيزنطي–مسيحي إلى مجال إسلامي جديد.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

غير أن السيطرة العسكرية لم تكن كافية لتحويل هذا الفضاء إلى دولة مستقرة. فقد واجه السلاجقة تحديات عميقة، من أبرزها:

١. غياب شرعية الخلافة المباشرة، إذ كانت الخلافة العباسية سلطة رمزية أكثر منها سياسية.

٢. حكم أغلبية سكانية من الروم الأرثوذكس، تختلف دينيًا وثقافيًا عن النخبة الحاكمة.

٣. تعدد الأعراق داخل الدولة الناشئة (أتراك، فرس، روم، أرمن).

أمام هذه التحديات، كان لا بد للسلاجقة من إنتاج خطاب سياسي جديد يتجاوز الانتماء العرقي الضيق، ويمنح الحكم معنى كونيًا وشاملًا، وهو ما يفسر لجوءهم إلى التراث الفارسي الملكي.

المبحث الثاني

الشاهنامه بوصفها مخزونًا للشرعية الرمزية

يمثل كتاب الشاهنامه لأبي القاسم الفردوسي أحد أعمدة الذاكرة السياسية الإيرانية، إذ لا يقتصر على كونه عملًا أدبيًا ملحميًا، بل يُعد سجلًا رمزيًا لفكرة الملك في الحضارة الفارسية. فالشاهنامه ترسم صورة الملك بوصفه:

- مختارًا من السماء
- ضامنًا للنظام الكوني
- محورًا للاستقرار والعدل

وقد وفّر هذا التصور نموذجًا مثاليًا للحكم يمكن استدعاؤه في سياقات سياسية مختلفة، لا سيما في البيئات التي لم تكن فيها الشرعية الدينية وحدها كافية.

استدعاء سلاجقة الروم لأسماء ملوك الشاهنامه لم يكن مجرد اقتباس ثقافي، بل كان إعادة إنتاج لفكرة الملك المقدّس بصيغة إسلامية جديدة، تُخاطب النخب الفارسية، وتستوعب السكان المحليين، دون الاصطدام المباشر بالمرجعية الدينية السنية.

الفصل الثالث:

دلالات الألقاب السلطانية في الخطاب السياسي السلجوقي

١. كيخسرو: الاستمرارية والوراثة الشرعية

يحمل لقب كيخسرو في المخيال الفارسي معنى الملك الذي يرث الحكم بوصفه حقًا طبيعيًا وقدريًا. وعندما تلقّب السلطان غياث الدين بهذا الاسم، كان الخطاب الموجّه يتجاوز شخصه إلى الدولة نفسها، ليؤكد فكرة الاستمرارية السياسية، لا مجرد الحكم المؤقت بالقوة.

٢. كيقباد: القوة والنظام

يرمز لقب كيقباد إلى الملك المؤسس القادر على فرض النظام، وهو ما يتناسب مع مرحلة تثبيت أركان الدولة السلجوقية في الأناضول. فالقوة هنا ليست عنفًا مجردًا، بل قدرة على التنظيم والسيطرة وإعادة إنتاج السلطة.

٣. كيكاوس: القدر والابتلاء

يحمل لقب كيكاوس بعدًا فلسفيًا أعمق، إذ يرتبط بفكرة الابتلاء والضعف الإنساني أمام القدر. ويعكس هذا اللقب تصورًا للحكم بوصفه مسؤولية ثقيلة، لا مجرد امتياز، وهو تصور يضفي بعدًا أخلاقيًا على السلطة.

هذه الألقاب مجتمعة شكّلت خطابًا رمزيًا متكاملًا، يعيد تعريف السلطان بوصفه حلقة في سلسلة تاريخية كبرى.

الفصل الرابع:

الفرسنة السياسية وهوية الدولة المركّبة

رغم أن السلاجقة كانوا أتراكًا عرقيًا، فإن دولتهم في الأناضول اتسمت بقدر كبير من الفرسنة السياسية، ويتجلى ذلك في:

- اعتماد اللغة الفارسية لغةً للإدارة والبلاط
- تبنّي النموذج الفارسي في تنظيم الدولة
- استخدام الرموز والأساطير الإيرانية في الخطاب السلطاني

غير أن هذه الفرسنة لم تكن نقيضًا للإسلام، بل جاءت في إطار إسلامي سني، ما أدى إلى تشكّل هوية سياسية مركّبة تجمع بين:

- الإسلام السني عقيدةً
- التراث الفارسي تصورًا للملك
- العنصر التركي قوةً عسكرية

المبحث الخامس:

البنية السكانية والانصهار الثقافي في الأناضول

كانت غالبية سكان دولة سلاجقة الروم من الروم النصارى الأرثوذكس، وهو ما فرض على الدولة نمطًا خاصًا من الحكم قائمًا على التسامح النسبي، والإدارة غير الإقصائية. وقد أسهم هذا الوضع في نشوء عملية انصهار ثقافي تدريجي بين:

- الأتراك المسلمين
- والروم المسيحيين

وهي عملية لم تكتمل في العصر السلجوقي، لكنها وضعت الأسس التي سيبني عليها العثمانيون لاحقًا دولتهم الإمبراطورية.

المبحث السادس:

تقييم التجربة السلجوقية

تكشف تجربة سلاجقة الروم أن الدولة في السياق الإسلامي الوسيط لم تكن كيانًا دينيًا خالصًا ولا عرقيًا صرفًا، بل مشروعًا سياسيًا–ثقافيًا مركّبًا، استثمر التراث الفارسي والتصوف لاحقًا لإنتاج شرعية تتجاوز الانقسامات.

وقد شكّلت هذه التجربة نموذجًا مبكرًا لكيفية استخدام الرمز والأسطورة في بناء السلطة، وهو النموذج الذي سيتكرر بصيغ مختلفة في الدولة الصفوية والدولة الريانية.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

الفصل الثاني

الدولة الريانية في مواجهة النموذج الإمبراطوري: سلاجقة الروم نموذجًا للمقارنة

المبحث الأول:

مبررات المقارنة بين الدولة الريانية وسلاجقة الروم

لا تهدف المقارنة بين الدولة الريانية وسلاجقة الروم إلى الموازنة من حيث الحجم أو الامتداد الزمني، بل إلى إبراز التباين البنيوي بين نموذجين مختلفين لتشكّل السلطة في التاريخ الإسلامي. فبينما تمثل الدولة الريانية نموذجًا محليًا نشأ من داخل المجتمع، تمثل دولة سلاجقة الروم نموذجًا إمبراطوريًا عسكريًا نشأ من خارج المجال الاجتماعي الذي حكمه.

وتكمن أهمية هذه المقارنة في أن كليهما لجأ إلى عناصر غير عربية وغير فقهية صِرفة في بناء الشرعية، لكن بطرائق مختلفة جذريًا، ما يسمح بفهم أعمق لمسارات إنتاج السلطة.

المبحث الثاني:

السياق التاريخي لتشكّل دولة سلاجقة الروم

نشأت دولة سلاجقة الروم في سياق توسّع تركي عسكري داخل الأناضول، عقب ضعف السلطة البيزنطية، وقد مثّل السلاجقة نخبة حاكمة وافدة، تختلف عرقيًا وثقافيًا عن غالبية السكان المحليين من الروم الأرثوذكس. هذا الواقع فرض على السلاجقة تحديًا مركزيًا تمثّل في كيفية إنتاج شرعية سياسية مستقرة في مجتمع لا ينتمي إليهم ثقافيًا.

ولم يكن الحل في الاندماج الاجتماعي المباشر، بل في تبنّي نموذج سلطاني رمزي مستمد من التراث الفارسي، يمنح السلطة طابعًا كونيًا يتجاوز الانقسامات المحلية.

المبحث الثالث:

الألقاب الفارسية وبناء الشرعية الرمزية

اعتمد سلاجقة الروم اعتمادًا واضحًا على الألقاب المستمدة من الشاهنامة، مثل:

- كيخسرو
- كيقباد
- كيكاوس

وهي ألقاب لا تحيل إلى الشريعة أو النسب، بل إلى تصور فارسي للملك يقوم على القوة والقدر والوراثة الرمزية. وقد أدّى هذا التبنّي إلى بناء شرعية ثقافية عابرة للمجتمع المحلي، لا تستمد قوتها من القبول الاجتماعي المباشر، بل من الهيبة السلطانية.

في المقابل، لم تعتمد الدولة الريانية أي منظومة رمزية مستوردة، بل بنت شرعيتها على:

- السمعة الأخلاقية
- الحسب الاجتماعي
- القبول الطوعي

وهو ما يعكس اختلافًا جوهريًا في منطق السلطة.

المبحث الرابع:

الدولة فوق المجتمع مقابل الدولة المنبثقة منه

يُظهر التحليل البنيوي أن دولة سلاجقة الروم كانت سابقة على المجتمع الذي حكمته، أي أن:

- السلطة السياسية تشكّلت أولًا
- ثم سعت لاحقًا إلى إدارة المجتمع وإعادة تنظيمه

أما الدولة الريانية، فقد نشأت من داخل المجتمع، حيث:

- سبقت الشبكة الصوفية قيام الدولة
- وتحوّلت السلطة إلى امتداد منظم لهذه الشبكة

هذا الفرق يفسّر لماذا احتاج السلاجقة إلى العنف والإدارة العسكرية لضبط المجال العام، بينما اعتمدت الريانية بدرجة أكبر على التحكيم الأخلاقي والتوافق الاجتماعي.

المبحث الخامس:

موقع التصوف في النموذجين

لم يحتل التصوف في دولة سلاجقة الروم موقعًا بنيويًا في السلطة، بل ظل عنصرًا داعمًا أو هامشيًا، يُستخدم أحيانًا لتلطيف الحكم أو كسب الولاءات. أما في الدولة الريانية، فكان التصوف هو القاعدة المؤسِّسة للسلطة، لا مجرد أداة تكميلية. وبذلك، فإن التصوف في النموذج السلجوقي لم يُنتج الدولة، بينما في النموذج الرياني أنتجها بالفعل.

سادسًا:

أثر النموذجين على الاستقرار والعنف

أدّى النموذج الإمبراطوري السلجوقي إلى:

- استقرار سياسي نسبي
- لكنه استند إلى القوة العسكرية والرمزية السلطانية

بينما أدّى النموذج الرياني إلى:

- استقرار اجتماعي داخلي
- مع مستويات أقل من العنف المنظّم

غير أن هذا الاستقرار كان أكثر هشاشة بعد غياب القيادة الكاريزمية.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

الفصل الثالث

الدولة الريانية بين التصوف الاجتماعي والتصوف السلطاني: الدولة الصفوية نموذجًا للمقارنة

المبحث الأول:

منطلق المقارنة بين الريانية والصفوية

تكتسب المقارنة بين الدولة الريانية والدولة الصفوية أهمية خاصة، لكون التجربتين تنطلقان من جذر صوفي واحد، يتمثل في الطريقة الصوفية بوصفها إطارًا تنظيميًا وروحيًا سابقًا على الدولة. غير أن التشابه في المنطلق لا يعني التشابه في المسار أو النتائج، إذ أفضت كل تجربة إلى نموذج مختلف جذريًا في ممارسة السلطة وبناء الشرعية.

وتسعى هذه المقارنة إلى بيان كيف يمكن للتصوف أن ينتج نمطين متباينين من الحكم:

- نمط اجتماعي اندماجي كما في الريانية،
- نمط سلطاني مركزي مؤدلج كما في الصفوية.

المبحث الثاني:

الجذور الصوفية للدولة الصفوية

نشأت الدولة الصفوية من الطريقة الصفوية التي أسسها الشيخ صفي الدين الأردبيلي، وكانت في بداياتها طريقة صوفية سنية الطابع، ذات انتشار اجتماعي واسع بين القبائل التركمانية في إيران وأذربيجان. وقد مثّلت الطريقة إطارًا للولاء الروحي والتنظيم الاجتماعي، شبيهًا من حيث الوظيفة الأولية بالطريقة الريانية.

غير أن التحول الحاسم وقع مع إسماعيل الصفوي، الذي أعاد توظيف الرأسمال الصوفي في مشروع سياسي توسعي، نقل الطريقة من المجال الاجتماعي إلى المجال السلطاني، وأدخلها في مسار صراعي إقليمي.

المبحث الثالث:

التحول من التصوف الاجتماعي إلى التصوف العقائدي

يمثّل التحول المذهبي للدولة الصفوية من السنية إلى التشيع الاثني عشري نقطة مفصلية في فهم طبيعة الدولة الصفوية. فقد تحوّل التصوف من منظومة أخلاقية جامعة إلى أداة أيديولوجية لإعادة تشكيل المجتمع، وفرض هوية مذهبية موحّدة بالقوة.

في المقابل، حافظت الدولة الريانية على التصوف بوصفه:

- إطارًا أخلاقيًا
- وسيلة للتوافق الاجتماعي
- مصدرًا للشرعية غير الصراعية

وبذلك، لم يتحول التصوف الرياني إلى أيديولوجيا سلطوية، بل ظل عامل اندماج واستقرار.

المبحث الرابع:

مركزية الدولة مقابل اندماجها في المجتمع

اعتمدت الدولة الصفوية نموذجًا سلطانيًا شديد المركزية، تمثّل في:

- احتكار السلطة السياسية والدينية
- إخضاع الطرق الصوفية الأخرى
- عسكرة الخطاب الديني

وقد أدّى هذا النموذج إلى بناء دولة قوية نسبيًا من حيث الاستمرارية، لكنه كان قائمًا على الصراع والعنف المذهبي.

أما الدولة الريانية، فقد قامت على نموذج اندماجي، حيث:

- لم تُفصل السلطة عن المجتمع
- لم يُقصَ الفاعلون الدينيون الآخرون
- لم يُفرض نموذج عقائدي قسري

وهو ما جعلها أقل قدرة على التوسع، لكنها أكثر انسجامًا داخليًا.

المبحث الخامس:

القيادة الكاريزمية بين الريانية والصفوية

تشترك التجربتان في الاعتماد على القيادة الكاريزمية، غير أن طبيعة هذه الكاريزما تختلف جذريًا. ففي الدولة الصفوية، تحوّلت كاريزما القائد إلى قداسة سياسية، نُسجت حولها أساطير دينية، وأُضفي عليها طابع شبه معصوم.

أما في الدولة الريانية، فبقيت الكاريزما في إطارها الاجتماعي–الأخلاقي، حيث استمد الأمير حسب (ريان) مكانته من:

- النزاهة
- الوساطة
- السمعة الحسنة

لا من ادعاء العصمة أو التفويض الإلهي المباشر.

المبحث السادس:

العنف وإعادة تشكيل المجتمع

لجأت الدولة الصفوية إلى العنف المنظم بوصفه أداة مركزية لبناء الدولة، سواء في فرض المذهب أو في القضاء على المعارضين. وقد ترك هذا المسار أثرًا عميقًا في البنية الاجتماعية والثقافية لإيران.

في المقابل، لم يكن العنف عنصرًا بنيويًا في الدولة الريانية، بل ظل محدودًا ووظيفيًا، مرتبطًا بحفظ النظام، لا بإعادة تشكيل المجتمع أو فرض هوية قسرية.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

المبحث السابع:

الاستمرارية والحدود البنيوية

يُحسب للدولة الصفوية قدرتها على بناء دولة طويلة الأمد، غير أن ذلك جاء على حساب التعددية والمرونة الاجتماعية. أما الدولة الريانية، فرغم قصر عمرها النسبي، فقد مثّلت نموذجًا أكثر توافقًا مع المجتمع المحلي، لكنه كان هشًا أمام غياب القيادة المؤسسة.

ويكشف هذا التباين عن مفارقة مركزية:

كلما زادت مركزية الدولة زادت قدرتها على البقاء، وكلما زاد اندماجها بالمجتمع زادت حساسيتها للتغيرات الاجتماعية.

الفصل الرابع

الدولة الريانية بين النموذج المحلي والنموذج الإمبراطوري: قراءة تركيبية مقارنة

المبحث الأول:

من المقارنة الوصفية إلى البناء النظري

لا تهدف المقارنة التي أُجريت في الفصول السابقة إلى إبراز أوجه الشبه والاختلاف فحسب، بل إلى الانتقال من الوصف التاريخي إلى صياغة نموذج تحليلي يمكن توظيفه لفهم أنماط تشكّل السلطة في التاريخ الإسلامي خارج الإطار الإمبراطوري التقليدي. وفي هذا السياق، تمثل الدولة الريانية الحالة المركزية التي يُبنى عليها التحليل، بينما تُستخدم تجربتا سلاجقة الروم والدولة الصفوية بوصفهما نموذجين كاشفين لحدود النمط الإمبراطوري والسلطاني المؤدلج.

ويُظهر هذا الانتقال المنهجي أن الدولة الريانية ليست مجرد حالة تاريخية معزولة، بل تجربة تحمل دلالات نظرية أوسع تتجاوز حدودها الجغرافية والزمنية.

المبحث الثاني:

ملامح النموذج الرياني لتشكّل الدولة

يمكن استخلاص عدد من الخصائص البنيوية التي تشكّل مجتمعة ما يمكن تسميته بـ "النموذج الرياني" في بناء السلطة، ومن أبرزها:

١. الأسبقية الاجتماعية على السياسية

نشأت السلطة الريانية من شبكة اجتماعية صوفية سبقت قيام الدولة، ولم تُفرض من خارج المجتمع أو بالقوة العسكرية.

٢. الشرعية الأخلاقية بدل الشرعية الرمزية أو العقائدية

لم تعتمد الدولة الريانية على أساطير ملكية أو أيديولوجيا مذهبية، بل على الرأسمال الأخلاقي والقبول الاجتماعي.

٣. الاندماج بين السلطة والمجتمع

لم يكن هناك فصل حاد بين الحاكم والمجتمع، بل علاقة تشاركية جعلت الدولة امتدادًا منظمًا للبنية الاجتماعية.

٤. محدودية العنف السياسي

اقتصر استخدام القوة على حفظ النظام، دون توظيفها لإعادة تشكيل الهوية أو فرض ولاءات قسرية.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

المبحث الثالث:

النموذج الإمبراطوري وحدوده في ضوء التجربة الريانية

تكشف المقارنة مع سلاجقة الروم أن النموذج الإمبراطوري، رغم فعاليته في إدارة مساحات واسعة ومتعددة الأعراق، يعاني من:

- انفصال نسبي بين الدولة والمجتمع
- اعتماد كبير على الرمز والقوة
- هشاشة الشرعية المحلية

في المقابل، تبرز الدولة الريانية بوصفها نموذجًا أكثر قدرة على تحقيق التماسك الاجتماعي، وإن كان ذلك على حساب التوسع والاستمرارية الطويلة.

المبحث الرابع:

التصوف بين الوظيفة الاجتماعية والأدلجة السياسية

توضح المقارنة مع الدولة الصفوية أن التصوف يمكن أن يؤدي دورين متناقضين:

- دور اجتماعي اندماجي كما في الريانية
- أو دور أيديولوجي سلطوي كما في الصفوية

ويكشف النموذج الرياني أن التصوف، حين يُحافظ على طابعه الأخلاقي والاجتماعي، يمكن أن يكون أساسًا لبناء سلطة مستقرة وغير صراعية، بينما يؤدي تسييسه العقائدي إلى العنف والانقسام.

المبحث الخامس:

القيادة الكاريزمية وحدودها المؤسسية

يُظهر النموذج الرياني أهمية القيادة الكاريزمية في مرحلة التأسيس، لكنه يكشف أيضًا حدود هذا النمط من الحكم في غياب مؤسسات مستقلة عن الشخصية المؤسسة. فاعتماد الدولة الريانية على شخصية الأمير حسب منحها قوة رمزية كبيرة، لكنه جعلها أكثر عرضة للتفكك بعد غياب هذه الشخصية.

وهنا يبرز الفرق الجوهري بينها وبين الدولة الصفوية، التي استطاعت تحويل الكاريزما إلى مؤسسة سلطانية مستدامة، وإن بثمن اجتماعي مرتفع.

المبحث السادس:

الدولة الريانية كنموذج تفسيري للدول المحلية

يسمح النموذج الرياني بإعادة قراءة تجارب أخرى في التاريخ الإسلامي، خصوصًا الدول المحلية ذات الجذور الدينية أو الصوفية، مثل:

- إمارات محلية في إفريقيا الإسلامية
- سلطات صوفية في المغرب واليمن
- كيانات اجتماعية ذات طابع ديني في فترات التفكك السياسي

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

وبذلك، لا تُقرأ الدولة الريانية بوصفها استثناءً، بل بوصفها تعبيرًا عن نمط متكرر لم يُمنح ما يكفي من الاهتمام الأكاديمي.

المبحث السابع:

القيمة العلمية للنموذج الرياني

تتمثل القيمة العلمية للنموذج الرياني في قدرته على:

- توسيع مفهوم الدولة في التاريخ الإسلامي
- كسر مركزية النموذج الإمبراطوري في الدراسات التاريخية
- إعادة الاعتبار للشرعية الاجتماعية والأخلاقية

كما يقدّم البحث إطارًا نظريًا يسمح بدراسة السلطة من أسفل إلى أعلى، بدل الاقتصار على تحليل النخب الحاكمة.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى دراسة الدولة الريانية بوصفها نموذجًا محليًا مغايرًا لتشكّل السلطة في التاريخ الإسلامي، بعيدًا عن النماذج الإمبراطورية والسلطانية المؤدلجة التي هيمنت على الكتابات التاريخية. وقد انطلق البحث من فرضية مفادها أن الدولة الريانية ليست حالة هامشية أو استثنائية، بل تمثل نمطًا متكاملًا لبناء الدولة قائمًا على الشرعية الاجتماعية والأخلاقية المتجذّرة في التصوف المحلي.

وأظهرت الدراسة أن الدولة الريانية نشأت من داخل المجتمع، حيث سبقت الطريقة الصوفية قيام السلطة السياسية، وأسهمت في إنتاج حكم اندماجي اعتمد على القبول الاجتماعي والسمعة الأخلاقية أكثر من اعتماده على القوة العسكرية أو الرمزية الإمبراطورية. ومن خلال المقارنة مع سلاجقة الروم والدولة الصفوية، تبيّن أن اختلاف مسارات تشكّل الدولة يعكس اختلافًا عميقًا في منطق السلطة ذاته، لا مجرد تباين في الحجم أو الامتداد الزمني.

ويخلص البحث إلى أن إعادة إدراج الدولة الريانية في دراسة تاريخ الدولة الإسلامية تسهم في توسيع مفهوم الشرعية السياسية، وتفتح أفقًا جديدًا لفهم العلاقة بين التصوف والسلطة، ودور الأخلاق والاندماج الاجتماعي في بناء الحكم والاستقرار.

النتائج

1. إثبات خصوصية النموذج الرياني

توصّل البحث إلى أن الدولة الريانية تمثل نموذجًا مستقلًا لتشكّل الدولة، لا يمكن تفسيره بوصفه نسخة ناقصة من النماذج الإمبراطورية الكبرى.

2. أولوية الشرعية الاجتماعية والأخلاقية

تبيّن أن شرعية الدولة الريانية قامت على القبول الاجتماعي والرأسمال الأخلاقي، لا على الغلبة العسكرية أو الأدلجة المذهبية.

3. نشأة الدولة من القاعدة الاجتماعية

أثبتت الدراسة أن الطريقة الصوفية الريانية سبقت قيام الدولة، وأسهمت في إنتاج سلطة سياسية نشأت من داخل المجتمع لا من خارجه.

4. التصوف بوصفه فاعلًا سياسيًا غير مؤدلج

أظهر البحث أن التصوف، حين يحافظ على طابعه الأخلاقي والاجتماعي، يمكن أن يكون أساسًا لبناء سلطة مستقرة دون تحوّله إلى أداة صراعية.

5. محدودية العنف السياسي

اتسمت الدولة الريانية بانخفاض مستويات العنف المنظّم مقارنة بالنموذجين السلجوقي والصفوي، نتيجة اندماج السلطة في البنية الاجتماعية.

6. هشاشة الاستمرارية المؤسسية

كشفت الدراسة أن اعتماد الدولة الريانية على القيادة الكاريزمية دون بناء مؤسسات مستقلة أسهم في ضعف قدرتها على الاستمرار بعد غياب المؤسس.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية

أبو بكر، محمد. (١٩٩٦). **المثلث العفرى في القرن الأفريقي عبر العصور التاريخية**. القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

غريب، اسماعيل. (٢٠٢٠). **أخبار الملوك**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار المعرفة.

غريب، اسماعيل. (٢٠٢٤). **جدلية الهوية والتغريب: نظرية التثاقف والتغريب في تاريخ ملوك بني ريان**. القاهرة: من غير دار نشر.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

Hodgson, M. G. S. (1974). The Venture of Islam: Conscience and History in a World Civilization (Vols. 1–3). Chicago: University of Chicago Press.

Lapidus, I. M. (2014). A History of Islamic Societies (3rd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Crone, P. (2004). Medieval Islamic Political Thought. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Lewis, B. (1988). The Political Language of Islam. Chicago: University of Chicago Press.

Trimingham, J. S. (1998). The Sufi Orders in Islam. Oxford: Oxford University Press.

Knysh, A. (2017). Sufism: A New History of Islamic Mysticism. Princeton: Princeton University Press.

Cornell, V. J. (1998). Realm of the Saint: Power and Authority in Moroccan Sufism. Austin: University of Texas Press.

Ernst, C. W. (1997). The Shambhala Guide to Sufism. Boston: Shambhala.

Robinson, C. F. (2003). Islamic Historiography. Cambridge: Cambridge University Press.

Al-Azmeh, A. (1997). Muslim Kingship: Power and the Sacred in Muslim, Christian and Pagan Polities. London: I.B. Tauris.

Donner, F. M. (2010). Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Peacock, A. C. S. (2015). The Great Seljuk Empire. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Cahen, C. (1968). Pre-Ottoman Turkey. London: Sidgwick & Jackson.

Vryonis, S. (1971). The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor. Berkeley: University of California Press